مع ذلك الشخص . وهكذا تظل الخرق تحمل رغبات الشخص الزائر وأمله بالشفاء . وبمرور الوقت تأخذ الخرق شيئا من قوة الولي وتنقلها للمريض . ويذهب الفلاح لزيارة أولياء الله في مزاراتهم طالبا الشفاء وواعدا الولي بتقديم أضحية اذا منّ الله بالشفاء . وقد يأخذ الفلاح شيئا من الزيت او القماش او الماء او الحجارة من المزار او مما يجاوره ويستعمل كل ذلك كوسائل للحصول على الشفاء . كما يذهب الناس ومعهم أحد المتهمين بارتكاب ذنب ما ليقسم اليمين في المزار . وفي ذلك تأكيد للمتهم بأن الولي سيتسبب في ايذائه اذا كان كاذبا . ويورد المؤلف نص احد الايمان الشعبية التي كان يؤديها المتهم في المزار . يقول اليمين : « والله ومحمد رسول الله / والله وما اعز من الله / وحياة هالعود والرب المعبود والنبي داهود / والصليب الحي / وحق القبلة المحمدية / وحق هالكنيسة والساكنين فيها / وباب هالشرق معبد النصارى / والكعبة / والمهد الشريف / والمصحف / ولحية النبي / وحق عوينة هالشمس المقربة لطاعة ربها / وحياة هالشارب / وحياة الماي المطهرة الحي والميت / وحياة الماي الجارية والسموات العالية / وحياة هالشجرة اللي تشرب من عرقها وبتسبح ربها / وحياة هالبساط الاخضر اللي طلع من الارض خرسا طرشا وحق من يعلم كم ورقة في هالشجرة وكم شعرة في هالحيوان ... » .

وتقدم النذور للمزارات ولوجه الشيخ وفاء بوعد قطعه مريض او صاحب حاجة . ويقول الشخص « نذرن علي لاقدم كذا وكذا اذا شفي ابني او حملت زوجتي او ... » . ومن الاشياء التي تقدم وفاء بالنذور تقدمات لتجميل المزار واصلاح بنائه ، كما تقدم الاضحيات أو المساعدات المالية للفقراء باسم شيخ المزار او الولي .

المعتقدات الشعبية حول الماء والابار والينابيع(٢)

لقد احتل الماء وما زال مركزا ممتازا في حياة الشعب الفلسطيني وسكان الارض العربية نظرا لندرته . واتخذ تلك الاهمية الكبيرة بحيث اصبحت استعمالات تمس أمورا مقدسة وممارسات اعتقادية تتصل بالطب الشعبي والاحتفالات الدينية ومضامين الخرافات . ولم يقتصر استعمال الماء ضمن هذه المعتقدات على الاحياء بل الاموات يحتاجون الماء . ويقول المعتقد الشعبي ان ارواح الموتى تنطلق ايام الجمع وهي تحمل « ظروف » الماء لتملأها من الينابيع .

يناقش الدكتور كنعان في دراسته لهذا الموضوع مسألة وجود « الينابيع المسكونة » والتي مؤداها ان ينابيع معينة تسكنها ارواح خيرة او ارواح شريرة . ولا تظهر هذه الارواح الا لشخص وحيد في النهار او في ساعات الليل . ومن أهم الاسباب التي تجعل الناس يعتقدون أن نبعا معينا مسكونا هي ان يكون النبع في مكان مهجور او في غابة او دغل كثيف الاشجار ، وان لا تصل اشعة الشمس الى مصدر النبع . ويتحقق ذلك الانعزال بوجود كهف أو شق من الصخور او قنال قديم يكون مدخل النبع . وتبدو هذه الظروف مواتية ومحببة للارواح وتكون على اتصال بداخل الارض وبالنجم « زحل » . ويستعرض د. كنعان الينابيع التي تنبثق بشكل دوري ، اي انها تدفع مياهها في وقت ما في حين تتوقف عن الجريان في وقت اخر . وتلك مسألة أثارت خيال الناس وانبثقت عنها معتقدات خرافية جميلة . لقد وجد الناس تفسيرا ذا صلة بالاعتقاد بالارواح الحارسة للمياه وهو اعتقاد منسجم مع الموروثات الدينية . انهم يعتقدون ان العين الدورية تسكنها اثنتان من الارواح : الأولى روح بيضاء والثانية روح سوداء . وكلا الروحين في صراع سرمدي دائم . وعندما تنتصر الروح الحرة تفسح المجال امام الماء لينساب لمنفعة البشرية العطشى . ولكن سرعان ما تنهض الروح المستعبدة السوداء وتستأنف المعركة . وعندما تنهزم الروح الحرة يغلق منفذ الماء .